

## الثبات حتى الممات

25.03.11

الثبات على الصراط المستقيم دليل رشد العبد. 2- دعاء النبي ﷺ ربه بتثبيت قلبه على دينه. 3- 1- ضرورة أهل هذا العصر إلى سؤال الله الثبات. 4- أسباب الثبات والسلامة من الزيغ

### الخطبة الأولى

أما بعد: فيا عباد الله، اتقوا الله فتقوى الله خير زاد يصحب المرء في سيره إلى الله والدار الآخرة.

أيها المسلمون، إن الثبات على الطريق ولزوم الحادة واتباع الصراط والحذر من اتباع السبل آية رشد المرء، وبرهان نضجه، ودليل سداد رأيه. وإن أرفع مراتب الثبات وأعلى درجاته ثبات القلب على الحق، واستقامته على الدين، وسلامته من التقلب. ولذا كانت الحشية من الزيغ، شأن أولي الألباب ونهج أولي النهى وسبيل الراسخين في العلم، الذين يتغنون إلى ربهم الوسيطة، ويزدلفون إليه، يرجون رحمته ويخافون عذابه. وقد ذكر سبحانه تضرعهم وسؤالهم إياه التثبيت على الحق والسلامة من الزيغ في قوله عز اسمه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٨٧﴾

﴿٨٧﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٨﴾ [آل عمران: 7، 8].

وإنه — يا عباد الله — لحسن مرهف وضراعة مخبئة، ألفت في هدي خير الورى **ماتت** على كمال العبرة، وتمام القدوة،

وحسن التأسي، وصدق الاتباع. فهذه أم سلمة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: ((اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك))، قالت: قلت: يا رسول الله، وإن القلوب لتتقلب؟! قال: ((نعم، ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا إن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء الله عز وجل أقامه، وإن شاء الله أزاعه)) أخرجه أحمد في مسنده الترمذي في جامعه

بإسناد صحيح [1]. وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك))، قال: قلت: يا رسول الله، آمنة بك وبما جئت به، هل تخاف علينا؟ قال: ((نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء)) أخرجه الترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه بإسناد صحيح [2]. وإذا كان صلوات الله وسلامه عليه قد حشي على هذه الثلاثة المؤمنة والطليعة الراشدة مع ما بلغت من رسوخ الإيمان وقوة اليقين وصدق العبودية، ومع أن قرنها خير القرون، كما جاء في الحديث المتفق على صحته [3]، فكيف بمن جاء بعدهم من أهل العصور؟! لا سيما من أهل هذا العصر، الذي أطلت فيه الفتن، وتتابع على المسلمين، فأقبلت رايات الباطل، وخفقت ألوية الضلال مبهجة لامة، وعصفت بالقلوب ريح الشبهات والشهوات، وفتح على الناس من أبواهما ما لا منتهى له، وانبعث سيل من المغريات المغوية فيما يُقرأ ويسمع ويُرى، وتوطدت سبل الغواية واستحكمت، واتخذت من فتنة الكاسيات العاريات المائلات المميلات وسائر الشهوات المحرمات عماداً ومحوراً، ودأب فريق من الناس على الاستهانة بالثواب، والاستخفاف بالمحكمات، وكان من أبح ذلك وأشدّه نكراً الطعن في القرآن وكمال، أو في بعض أحكامه، أو في الرسالة وختمها وعمومها وصلاحها للعالمين في كل حين، أو في الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وفي نجاح دعوته، أو في سنته وسيرته، إلى غير ذلك من اجترأ يعزُّ نظيره ويندر مثيله، وراحت بين كثير من المسلمين بدع محدثة أدخلت على الدين وليست منه، وأضحت في أعرفهم ديناً يُتبعُ الله به، وقربي يزدلفون بها إليه، وجامعاً يجتمعون عليه، وذكت نار الفرقة والاختلاف واستعرت، حتى أوشك أن يذهب ضحيتها الإخاء الإسلامي، وبلغ السيل الزبي باستباحة الدماء الحرم، وقتل الأنفس

المعصومة، اتباعاً للظن والهوى، وإعراضاً عن وصية نبي الرحمة والهدى **ماتت** لأمنته في حجة الوداع بقوله: ((إن دماءكم وأمواكم — وفي رواية: وأعراضكم — عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟)) قالوا: نعم، قال: ((اللهم، اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلِّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب

بعضكم رقاب بعض))، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده، إنها لو صيته إلى أمته ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)). أخرجه البخاري في صحيحه [4]

فقرت بهذا الحال البئيس أعيُنُ أعداء الأمة، وطابت به نفوسهم، وبسطوا بالسوء ألسنتهم. وكل أولئك — يا عباد الله — مما تعظم به الخشية من الزيغ، وتتأكد معه الحاجة إلى تثبيت القلوب، ويستبين به عظم مقام هذا الدعاء النبوي الكريم، وشرفُ موضعه، وشدة الافتقار إلى اللهج به في كل حين. ألا وإن للسلامة من الزيغ أسباباً تُرجى بفضل الله وبرحمته، منها صدق الإيمان وقوة اليقين، وإخلاص التوحيد لله، إذ لا سعادة ولا فوز ولا نجاة إلا بتحقيق التوحيد، والحذر من كل ما يضاذه ويناقضه.

ومن ذلك الاعتصام بالسنة، والحذر من البدعة، فإن كل بدعة ضلالة، كما بين ذلك رسول الله ﷺ حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه بقوله فيه: ((وإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)) أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وابن ماجه في سننهم بإسناد صحيح [5]

ومنها مبادرة الفتن بالأعمال، والإخلاص لله فيها، والاستدامة عليها، عملاً بالتوجيه النبوي الكريم بقوله: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) أخرجه مسلم في الصحيح [6]

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا من هذا النهج القويم خير العدة وأفضل الزاد، وسلوا الله أن يثبت القلوب على الدين وأن يجنبها الزيغ، فاللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

باد الله، إن حفظ العبد ربّه بالعمل بما يرضيه هو من أظهر أسباب الثبات، ومن أقوى عوامل السلامة من الزيغ، كما جاء في

وصية النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما بقوله: ((يا غلام، إني أعلمك كلمة: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، حفت الأقدام ورُفعت [الصحف]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه بإسناد صحيح [1]

فعاقيه حفظ العبد ربّه أن يحفظه الله من المضلات والشبهات، حتى يتوفاه على الإيمان، وحتى فاتقوا الله عباد الله، وخذوا من هذا النهج القويم خير العدة وأفضل الزاد، وسلوا الله أن يثبت القلوب على الدين وأن يجنبها الزيغ، فاللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُنْفَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَأْتِخَذُوكَ

خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ تَبْتُلَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذُقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ

[الإسراء: 73-75].

أَلْمَمَاتٍ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا

يدخله الجنة دار السلام.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على كل أسباب الثبات، وحذروا من كل أسباب الزيغ، تكونوا من المفلحين.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل  
ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.